



خطبة الجمعة : 07/01/2011م

الشيخ الطبيب محمد خير الشعال

سلسلة تربية الأبناء

الخطبة الأولى: لماذا هذه السلسلة؟

الحمد لله، الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا و سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله، وصفيه وخليله، خير نبي اجتبه، وهدى ورحمة للعالمين أرسله، أرسله ربنا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كره، اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى وأحثكم وإيائي على طاعته، فنحن في هذه الدار ممتحنون بالطاعة والمعصية، من لزم الطاعة وحافظ عليها نجا، ومن أصر على المعصية فحاله غير حال النجاة، إنه من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره.

ثم أستفتح بالذي هو خير :

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ

شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: 6].

- قال سيدنا علي عليه السلام: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ﴾: أي علموا أنفسكم وأهليكم الخير.

- وقال مقاتل: هي أن يؤدب المسلم نفسه وأهله، فيأمرهم بالخير وينهاهم عن الشر.

- وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مَا مِنْ عَبْدٍ اسْتَرْعَاهُ اللَّهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ))⁽¹⁾.

• وفي رواية عند البخاري: ((مَا مِنْ عَبْدٍ اسْتَرْعَاهُ اللَّهُ رَعِيَّةً فَلَمْ يَحْطَهَا بِنَصِيحَةٍ إِلَّا لَمْ يَجِدْ رَاحَةً الْجَنَّةَ)).

• وفي رواية عند مسلم: ((ثُمَّ لَا يَجْهَدُ لَهُمْ وَيَنْصَحُ لَهُمْ إِلَّا لَمْ يَدْخُلْ مَعَهُمُ الْجَنَّةَ)).

• وفي رواية عند أحمد: ((لَا يَسْتَرْعِي اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَبْدًا رَعِيَّةً قَلَّتْ أَوْ كَثُرَتْ إِلَّا سَأَلَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَقَامَ فِيهِمْ أَمْرَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَمْ أَضَاعَهُ حَتَّى يَسْأَلَهُ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ خَاصَّةً)).

ياأيها الإخوة:

هذه هي الخطبة الأولى في سلسلة جديدة من الخطب، نفتتحها مستعينين بالله تعالى، ومعتمدين عليه،
عنوانها:

تربية الأبناء

﴿فَالْأَبْنَاءُ زِينَةُ الْحَيَاةِ: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾﴾، [سورة الكهف: 46].

﴿وقرة العين: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾﴾، [سورة الفرقان: 74].

﴿ورحمة الله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً

وَرَحْمَةً﴾﴾، [سورة الروم: 21]، قال مجاهد: الرحمة: الولد.

﴿وهم فوق ذلك البشرى والسرور: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى﴾﴾، [سورة مريم: 19/7].

﴿وهم ثمرات القلوب، وفلذات الأكباد:

أكبادنا تمشي على الأرض	إنما أبنائنا بيننا
لم تشبع العين من الغمض	لو هبت الريح على بعضهم

-أرسل معاوية إلى الأحنف بن قيس، فقال: (يا أبا بحر، ما تقول في الولد؟).

⁽¹⁾ (متفق عليه (البخاري 6618، مسلم 203)، عن معقل بن يسار رضي الله عنه).

فقال الأحنف: (يا أمير المؤمنين, ثمار قلوبنا, وعماد ظهورنا, ونحن لهم أرضٌ ذليلة, وسماءٌ ظلييلة, فإن طلبوا فأعطهم, وإن غضبوا فأرضهم, يمنحوك ودهم, ويُحبوك جَهْدَهم, ولا تكن عليهم ثقيلاً, فيملوا حياتك, ويحبوا وفاتك).

فقال: (لله أنت يا أحنف, لقد دخلت عليّ وإني لملوء غضباً على يزيد, فَسَلَّته من قلبي). فلما خرج الأحنف من عنده, بعث معاويةً إلى ابنه يزيد بمائتي ألف درهم ومائتي ثوب. فبعث يزيد إلى الأحنف بمائة ألف درهم, ومائة ثوب — شاطره إياها —.

● **التربية في اللغة:** تعني الزيادة والنماء, وتعني النشأة والترعرع, وتعني الإصلاح وتولي الأمر.

● **وفي الاصطلاح:** هي إنشاء المرء شيئاً فشيئاً وإصلاحه حتى يبلغ حد الكمال والتمام.

- قال ابن القيم:

(وصية الله للآباء بأولادهم سابقة على وصية الأولاد بآبائهم, فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه وتركه سدىً, فقد أساء غاية الإساءة, وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء, وإهمالهم لهم, وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه, فأضاعوهم صغاراً, فلم ينتفعوا بأنفسهم, ولم ينفعوا آباءهم كباراً).

- كما عاتب بعضهم ولده على العقوق فقال:

(يا أبتِ, عقتني صغيراً فعقتك كبيراً, وأضعتني وليداً فأضعتك شيخاً).

عنوان خطبة اليوم:

لماذا هذه السلسلة؟

اخترت لكم هذه السلسلة لأسباب أربعة:

أولها: لأن الله أمرنا بتربية أبنائنا, ونحانا عن الانصراف عن تربيتهم:

ونحن قومٌ مهما أمرنا الله بأمرٍ ائتمرنا, ومهما نحانا عن شيءٍ انتهينا, فهو ربنا ونحن عبيده.

- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾, [التحريم: 6].

- قال سيدنا علي رضي الله عنه: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ﴾: أي علموا أنفسكم وأهليكم الخير.

- وقال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ , [سورة طه: 20/132].

- وكان سيدنا عمر رضي الله عنه يوقظ أهل داره لصلاة الليل ويصلي، وهو يمثل هذه الآية.

- وقال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (92) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ , [سورة الحجر: 92-93], ومن جملة ما يُسأل المرء: يُسأل عن أولاده، أحفظ تربيتهم أم لا؟.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن الله سائل كل راع عما استرعاه أحفظ ذلك أم ضيع، حتى يسأل الرجل على أهل بيته))⁽¹⁾.

-ومن لطيف التأويل في قول الله تعالى: ﴿لَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ

خِطَاءً كَبِيرًا﴾ , [سورة الإسراء: 31] لا تقتلوهم بترك تربيتهم وتعليمهم ما ينفعهم، فمن علم ولده الخير فقد أحياه، ومن تركه للشر وأهله فقد قتله.

ثانياً: لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعانا للاعتناء بتربية أبنائنا:

✓ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((...وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا...))⁽²⁾.

✓ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لَأَنْ يُؤَدَّبَ الرَّجُلُ وَلَدُهُ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَتَصَدَّقَ بِصَاعٍ))⁽³⁾.

✓ وقال صلى الله عليه وسلم: ((ارجعوا إلى أهليكم فاعلموهم ومروهم))⁽⁴⁾.

-عرضت قناة فضائية العام الماضي برنامجاً التقوا فيه أماً مع ابنيها، أحدهما في السادسة من العمر، والثاني في الخامسة، وقد حفظ الاثنان القرآن الكريم عن ظهر قلب، والمئات من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، فسألوها: كم تصرفين من الوقت مع ابنك؟.

فأجابت: أربع عشرة ساعة يومياً.

⁽¹⁾ رواه النسائي في السنن الكبرى برقم 9174 (ج5، ص 374)، وابن حبان في صحيحه، ج10، ص 345، وقال عنه شعيب الأرناؤوط: رجاله رجال الشيخين، وهو مرسل.

⁽²⁾ متفق عليه، (البخاري 844، مسلم 3408)، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

⁽³⁾ رواه الترمذي برقم: 1874، عن جابر بن سمرة رضي الله عنه.

⁽⁴⁾ رواه البخاري في الأدب المفرد برقم: 213، ج1، ص 84.

ففاعاً الجواب المذيع, وأكملت الأم قائلة:

(أريد من أولادي أن يكونوا قرة عين لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم, وأنا أبذل الوقت كاملاً لذلك).

ثالثها: لأن تربيتنا لأبنائنا من أعظم الأعمال الصالحة والنافعة في الدنيا والآخرة:

﴿فقد جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ فَيَقُولُ يَا رَبِّ أُنِّي لِي هَذِهِ فَيَقُولُ بِاسْتِغْفَارٍ وَلَدِكَ لَكَ))⁽¹⁾.

﴿وقال صلى الله عليه وسلم: ((من قرأ القرآن وتعلمه وعمل به أُلِيسَ يوم القيامة تاجاً من نور, ضوؤه مثل ضوء الشمس, ويكسى والديه حلتان لا يقوم بهما الدنيا, فيقولان: بما كُسينا؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن))⁽²⁾.

﴿وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ وَعِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ وَوَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ))⁽³⁾.

- فمهما أدبنا أولادنا واعتنينا بتربيتهم, فنحن نعمل عملاً صالحاً ينفعنا في الدنيا والآخرة.

- قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ

مِنْ شَيْءٍ ۖ﴾, [سورة الطور: 21].

- قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيرها, كما جاء في تفسير ابن كثير:

(إن الله ليرفع ذرية المؤمن في درجته وإن كانوا دونه في العمل, لتقر بهم عينه), أي ماداموا مؤمنين صالحين.

رابعها: لأن أعداء العرب والمسلمين يوجهون أسلحتهم لضرب التريية الصالحة لأبنائنا:

⁽¹⁾ (رواه أحمد في مسنده, برقم: 10202, عن أبي هريرة رضي الله عنه).

⁽²⁾ (رواه الحاكم في المستدرک, برقم 2086, عن عبد الله بن بريدة الأسلمي).

⁽³⁾ (رواه الترمذي, برقم: 1297, عن أبي هريرة رضي الله عنه).

فهم يريدون سحب أبنائنا من بين أيدينا، ويريدون سحبهم من التربية على الدين والقيم والمبادئ، ليغرقوهم بأفلام الجنس والرذيلة، ومواقع الفحش والفجور، ليثثوا فيهم تربية الخنوع والخضوع والميوعة وعدم المبالاة.

ولئن حوربنا بالطائرات، فإن الرد يكون بالطائرات، ولئن حوربنا بالاقتصاد، فإن الرد يكون بالمحافظة على الاقتصاد، ولئن حوربنا بالتربية الفاسدة، فإن الرد يكون بسلاح التربية الصالحة.

أيها الإخوة: لكل ما سبق تأتي هذه السلسلة من الخطب (تربية الأبناء):

1- لأن الله أمرنا بتربية أبنائنا.

2- لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعانا للاعتناء بتربية أبنائنا.

3- لأن تربيتنا لأبنائنا من أعظم الأعمال الصالحة والنافعة في الدنيا والآخرة.

4- لأن أعداء العرب والمسلمين يوجهون أسلحتهم لضرب التربية الصالحة لأبنائنا.

- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أدبوا أولادكم وأحسنوا أدبهم))⁽¹⁾.

والحمد لله رب العالمين

⁽¹⁾ (رواه ابن ماجه، برقم: 3661، عن أنس بن مالك رضي الله عنه).